«أَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ»

ذو القعدة / ذو الحجة ١٤٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.

- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

- الكمال لله -عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

اللقاء الأول يوم الثلاثاء 29/ 11/ 1443هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا، ونسأله بمنّه وكرمه أن يجعلنا من أهل الإيمان والتقوى، المنتفعين بما بشّرهم به رب العالمين، وبما بشّرهم به رسوله الكريم، من انتفاعهم بحياتهم وبإيمانهم، ومن كونهم في الدنيا أصحاب الحياة الطيبة، وفي الآخرة أهل النعيم المقيم، نحمد رب العالمين أن جعلنا من المؤمنين ونستبشر بشارة عظيمة بما بشّرنا به رب العالمين، وبما بشّرنا به رسوله الكريم، ونسعى جاهدين أن نغتنم الفرص لنرتفع درجات عظيمة عند رب العالمين.

ومما يزيد قوة الانتفاع بالفرص أن نعيدها على أنفسنا، وأن نسمعها سمع المتيقظين الذين يعون ما يسمعون، يفهمون ما يسمعون، يتيقنون بما يسمعون، فينتفعون بما يسمعون، ولنستبشر بما نسمع، ولنغتنم كل الفرص لنكون من أهل هذه البشارة.

ولكي نزداد فهما لهذا الأمر ونزداد انشراحا في الصدر، فلنسمع هذه البشارات من كلام رب العالمين، ولنجعل هذه البشارات من الكلام العظيم الذي يتردد على آذاننا، ومن الكلام العظيم الذي نفهمه

ونعيه وننشره ونبيّنه، وكل هذا ونحن راغبين أن نكون من المبشَّرين بذلك.

وانظر إلى حالنا لما نسمع كلمة العشرة المبشَّرين بالجنة، وهم قد بشرهم رسول الله ﷺ، الذي لا ينطق عن الهوى، بشرهم بهذا الحق، بشرهم بأنهم من أهل الجنة كأشخاص، أولئك العشرة، وهناك غيرهم ممن بشرهم رسول الله ﷺ. ولما نسمع أن هناك مبشرين بالجنة نشعر بالغبطة تجاههم، ونشعر بالسعادة لهم، ونرغب أن نكون مبشرين.

وفي هذه اللقاءات بإذن الله نستبشر سويا بما بشرنا به رب العالمين، ونبذل جهودنا في هذا الموسم المبارك المقبل علينا، الذي هو من أعظم أيام العام، من أعظم الدنيا، من أعظم أيام مرت على العبد، نبذل جهودنا في هذه الأيام العظيمة أن نكون محقِّقين لصفات المبَشَّرين.

ولنبدأ سويا ببشارة رب العالمين في مطلع سورة البقرة للمؤمنين، نسمع الله عز وجل يقول:

{وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}

فلتبشروا وتؤمِّلوا ما يسركم يا أهل الإيمان! لكن عليكم أن تحققوا صفات أهل الإيمان.

ما صفات المبشرين؟ وبماذا بشرهم رب العالمين؟

يقول رب العالمين سبحانه وتعالى آمرًا رسوله:

{وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا} هؤلاء هم المستحقون للبشارة،

{آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} متى أتى الإنسان بهذه الصفات يدخل بهذه البشارة، لكن هل نظن أن {آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} أمر يسير؟ والله إنه ليس بالأمر اليسير! بل هذا من أظم الأمور وأشدها، فالإنسان يخرج من الكفران إن كان من أهل الإيمان والعمل الصالح، كما في سورة العصر، الله قال: {إِنَّ الْإِنْسَانَ} يعني كل الناس، ألف لام هنا للاستغراق {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} الذين آمنوا وعملوا الصالحات خرجوا من الخسر، ففهمنا أن هذا الأمر ليس بالهين.

{وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} أخبرهم بخبر يظهر سرور المخبَر به، ويظهر عليهم آثار هذه البشارة، سميت بشارة من البشرة، وهو ظاهر الجلد. والسعادة هذه تدخل إلى الفؤاد وتنتشر على جميع البدن حتى تظهر على بشرة الوجه، مثلما تظهر تباشير الصبح، وهو ما ظهر من أوائل ضوئه، فالسعادة تظهر على الوجه مثل تباشير الصبح.

{وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا} يا له من عمل عظيم! **الإيمان** هذه الكلمة العظيمة التي تحتاج إلى كثير من المراجعة، ولنجعل هذا الموسم

الذي سنقبل عليه مراجعة لإيماننا الذي في قلوبنا، لكي نكون من أهل هذه البشارة، إيماننا برب العالمين وعيشنا في الدنيا طالبين الآخرة، إيماننا برب العالمين، إيماننا بلقائه، هذه كلها لها لوازم، وهذه اللوازم هي التي سنقضي الوقت بالتفكر فيها وتأملها، هذه اللوازم في إيماننا بقلوبنا هي التي تظهر على قراراتنا، وعلى محابنا وعلى مباغضنا، إيماننا الذي في قلوبنا هو الذي يصور لنا رحلة الحياة.

ويتبين إيماننا الذي في قلوبنا واضحا جليا لما ننظر لقضية **ذكر الله التي هي عنوان العشر التي ستقبل علينا.**

هذه العشر المباركة نسأل الله عز وجل أن نلحقها ونحن في قوة الإيمان، أعظم الأعمال فيها هو ذكر الله، وهو ليس العمل الوحيد، لكنه هو أعظم الأعمال، وذكر الله إن أردنا أن نعرف حقيقته، فلا بد أن نتكلم عن العقيدة التي في قلوبنا، بهذه الطريقة نجد أن الأمر متسلسل؛ ذكر الله ما هو إلا من عقيدة وإيمان ويقين، ذكر الله انعكاس لهذا كله، فهذه العقيدة التي في القلب هي الإيمان، فالواجب علينا أن نطلب لنفسنا زيادة الإيمان.

{وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا} فظهر أثر إيمانهم على كل حياتهم، فهم لله مطمئنين ولما يحب محبين، ولما يبغض كارهين، هم يعيشون الدنيا لإقامة الدين، ويعملون فيها لعمارة الدار الآخرة، ولحسن لقاء رب

العالمين. الدنيا عند هؤلاء المؤمنين معبر إلى الدار الآخرة، لا يخدعون أنفسهم، بل تجد في قلوبهم الانشغال العظيم بما عند رب العالمين. هؤلاء بشرهم، بشر المشغولين بعمارة الدار الآخرة، ولقاء رب العالمين، بشرهم أن لهم جنات، فالمؤمنين ستكون أعمالهم الصالحة لعمارة تلك الدار الآخرة التي تستحق أن يبذل لها، وأن تصرف الأوقات والأعمار في الأعمال لعمارتها، وأن تؤخذ الدنيا كلها بدون استثناء لأجل الوصول لها، بل ولتكن المشاعر جميعها تابعة لتلك الدار ولذلك اللقاء العظيم، ولتكن كل القرارات لأجل رضا رب العالمين.

وعلينا أن نتنبه لهذا الأمر، أعظم صفات المؤمنين هو الحرص على طلب الهداية من رب العالمين في كل وقت وفي كل حين وفي كل مسألة. أهل الإيمان يعلمون أن أعظم النعم الهداية إلى ما يرضي رب العالمين، أهل الإيمان يكثرون من طلب الهداية، أهل الإيمان يخافون على الهداية، أهل الإيمان يراجعون أنفسهم في كل تصرفاتهم لأجل ألا يحيدوا عن الهداية، فأهل الإيمان خطواتهم في السير في هذه الحياة كل خطوة فيها تمسك عظيم بحبل رب العالمين. يبغضون أن يتوهوا، وأن يضيعوا، وأن يضلوا الطريق، يكرهون أن يكونوا من الضالين، يكرهون أن يقع عليهم وصف المغضوب عليهم ووصف الضالين. فهذه البشرى للذين آمنوا وعملوا الصالحات تستحق أن تقبل النفوس عليها.

{وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} استبشروا يا أهل الإيمان، واطلبوا صفات المبَشَّرين، وكونوا ممن جدّد الإيمان واليقين، وعمل العمل الصالح، عمله لأجل رب العالمين، عمله وهو صادق في هذا العمل الصالح، عمله وهو يحتسب على الله هذا العمل الصالح، عمله وهو متيقن أنه عمل صالح لا غير، فبقلوبكم كونوا مؤمنين، وبجوارحكم كونوا عاملين، فبذلك تصدقوا إيمانكم بأعمالكم. واعلموا أن الهداية هي الأصل في هذا الوصف، فكم من عامل عملا يظنه عملا صالحا وهو لا يدري أنه متبع لهواه، وكم من شخص أخفى في زوايا قلبه كثير من الأمراض، وكثير من الاعتقادات الباطلة، وكثير مما يناقض كمال الإيمان، بل البعض أبقى في قلبه من الأمور التي تناقض الإيمان نفسه وهو يظن نفسه من الذين آمنوا.

فلنكثر من التوبة والاستغفار وطلب الهداية، ولنستعذ من الضلال ولنطلب من رب العالمين أن يثبت قلوبنا على الإيمان، ولنطلب من رب العالمين أن يهدينا للحق الذي اختلف فيه الخلق.

كم من أمر اليوم خصوصا مع توارد الفتن، كم من أمر اختلف الناس في حكمه، وتباينت الآراء حوله، وكلٌّ ذهب في طريق، وكلٌّ نظر للأمر من جهة، ولكن ما الحق يا رب العالمين! فالمؤمن صادق الإيمان أول ما يواجه هذه الأمور التي ترى الناس فيها مختلفين، يتذكر أن رسولنا ﷺ الذي ينزل عليه الوحي، يقول في

استفتاحه لقيام الليل سائلا ربه بأفعال عظيمة من أفعاله عز وجل، يسأله فيقول: "اللَّهمَّ ربَّ جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ فاطرَ السَّمواتِ والأرضِ عالِمَ الغيبِ والشَّهادةِ أنتَ تحكُمُ بينَ عبادِكَ فيما كانوا فيهِ يختلِفونَ" تصور يسأل الله بخلقه لهؤلاء الملائكة العظام، ثم يسأله بخلقه للسموات والأرض، الصفات العظيمة، قدرته المطلقة على كل شيء سبحانه وتعالى والتي يظهر شيء منها في خلق الملائكة العظام، ثم في خلق السماوات والأرض، ثم علمه سبحانه وتعالى بكل شيء، فيسأله بقدرته على كل شيء وبعلمه بكل شيء "أنتَ تحكُمُ بينَ عبادِكَ فيما كانوا فيهِ يختلِفونَ" ماذا تريد أيها العبد بهذا السؤال؟

يعلمنا رسول الله ﷺ ماذا تكون آمالنا؟ "**اهدِني** لما اختُلِفَ فيهِ منَ الحقِّ بإذنِكَ إنَّكَ تهدي من تشاءُ إلى صِراطٍ مستقيمٍ" [رواه مسلم] يا لعظمة الهداية! وعظمة طلب هذه الهداية، يا له من أمر غاية في الخطورة يجب ألا نتجاهله ونحن نتكلم عن وصف أهل الإيمان.

استبشروا يا أهل الإيمان، أبشروا وأملوا ما يسركم، الله يبشركم في كتابه {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} يا لها من بشارة عظيمة، فلنحقق صفات المبشرين ولنكن من أهل الإيمان واليقين المترجمي هذا الإيمان واليقين بالعمل الصالح، وليكن على بالنا أن وصف أهل الإيمان وصف شديد ليس بالهين ولا بالسهل، وأُسّ هذا الوصف وأساسه أن تكون صادقا في طلب الهداية من رب

العالمين، ليكن توجهك صحيح في سيرك ولا تضع قدمك في مكان خاطئ.

هذا الكلام تكرر، لكون أن هذا من أهم الأمور التي نكررها ونسمعها لكن نغفل عنها. ولنسمع في هذه الآية الكريمة بماذا بشر هؤلاء، ولنشتغل بهذه البشارة، ولنجفف في قلوبنا التعلقات بالدنيا، ولنفتح على أنفسنا الاستبشار بما بشرنا به الله، والانشغال بذلك الذي يكون عند الله، **وكثرة التفكير** فإن أهم علامات الإيمان كثرة الذكر لرب العالمين، ولما وعد به رب العالمين، كثرة الذكر لرب العالمين وللقاء رب العالمين، كثرة الذكر لرب العالمين ولما خوفنا به رب العالمين، ولا يمكن أن يكون هناك كثرة ذكر إلا بعد كثرة تفكير. أو على الأصح نقول لا يكون هناك ذكرا حقيقيا إلا بعد كثرة التفكير، فكثرة التفكير في رضا رب العالمين، كثرة التفكير في آيات رب العالمين، سواء كانت المتلوة أو المنظورة في الكون، سواء كانت فيما خلق الله أو فيما قدر الله من أقدار علينا أو على غيرنا، التفكير في هذا الذي يدلنا على الله؛ سماء ذات أبراج، أرض ذات فجاج، بحار ذات أمواج، كلها تدلنا على العزيز الحكيم سبحانه وتعالى، التفكير الصادق فيما وعدنا، التفكير في تقصيرنا، التفكير في نعمه علينا، التفكير دائرته عند أهل الإيمان حول عظمة الله ورحمة الله، حول صفات كمال الله، حول آثار هذه الصفات علينا في حياتنا.

التفكير عند أهل الإيمان هو ما الذي يرضي الرحمن في هذا الموقف، وفي هذا الموقف؟ ما الذي يرضي الرحمن ويخرجني من الفتن في هذه الفتنة، وفي هذه الفتنة؟ ما الذي يرضي الرحمن في هذا الشأن وفي هذا الشأن؟ ما الذي يرضي الرحمن؟ هذا ما يشغل أهل الإيمان فيكونون مؤمنين بقلوبهم، يفكرون بما بشر به رب العالمين، وما أسباب هذه البشارة وكيف يكونون أهلا لهذه البشارة.

يسير النبي ﷺ مع أصحابه الكرام وهم في سفر، فيجدون وهم سائرين جبلا يعرفونه، فيقول لهم رسولنا الكريم: "سِيروا هذا جُمْدَانُ" جبل معروف في طريق مكة، "سبَق المُفرِّدونَ سبَق المُفرِّدونَ" قالوا وما المفرودون يا رسول الله؟ قال "الذَّاكرونَ اللهَ كثيرًا والذَّاكراتُ" [رواه مسلم].

لماذا ذكر الرسول الذاكرين بعد ذكر هذا الجبل؟ هناك وجوه كثيرة، متعنا الله بالعلم، من جهة:

- الناس لما يقطعوا المسافات تظهر لهم علامات، فجمدان هذا كان دليل وعلامة على القرب من المقصود، لما يسيروا ويصلوا إليه ويتعدونه يكونون أقرب إلى مقصودهم، بماذا سبقوا إليه؟ سبقوا إليه بالسير على أقدامهم، وجدوا جمدان الذي هو علامة في سيرهم أنهم انتصفوا في الطريق أو بقي عليهم قليل في الطريق.

السائرون في الأرض يسبقون بشدة السير على أقدامهم أو على رواحلهم.

والسائرون إلى الله يسبقون بماذا؟ بكثرة ذكر الله. هؤلاء الذين يذكرون الله، ما الذي يشغلهم؟ أنهم يقطعون إلى الله بكثرة الذكر، من أين تأتي كثرة ذكر الله؟ يشغلهم رضا رب العالمين، يشغلهم في كل مسألة ما الذي يرضيك يا رب العالمين؟ فهم كثيروا الذكر، وبهذا يقطعون المسافة إلى رب العالمين، كما يقطع الناس المسافة بأقدامهم.

- ثم أنهم ثابتين مثل ثبات جمدان الجبل، فالمؤمن الذاكر لله لا يغفل ولا يتزحزح عن مواقف الإيمان، ويتذكر فيعود ويتوب ويستغفر ويخشى على نفسه.

فما أعظم وصف أهل الإيمان، ما أعظم ما عليه أهل الإيمان من الثبات، ما أعظم هدايتهم في الطريق، إن لأهل الإيمان علامات، كلما ساروا وجدوا علامات تدل على رضا رب العالمين عليهم، من علامات رضا رب العالمين على العبد كثرة ذكر الله، وكثرة ذكر الدار الآخرة {إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ} يا لها من خالصة عظيمة! كان هذه الخالصة التي خصّ الله بها الأنبياء والرسل، كما أخبر الله سبحانه وتعالى، هي أنهم كانوا مكثرين من

ذكر لقاء رب العالمين {إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ} خصصناهم بخصيصة وهي أن الدار الآخرة دائما على بالهم.

المعنى أن الله قد أنعم عليهم، هذه علامة وأنت سائر إلى ربك، أنعم عليهم بأن نزع من قلوبهم حب الدنيا وذكرها وإيثارها والعلم لها، ثم وُضِعَ في قلوبهم الإقبال على الدار الآخرة.

ومن ثم يأتي المعنى الآخر الذي قاله أهل العلم بهذه الآية أنه أصبح لهم الذكر الجميل في هذه الدار، وهو لسان الصدق الذي سأل إبراهيم عليه السلام ربه ولذلك {وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (45) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ}. فهؤلاء أصبحت الدار الآخرة شغلهم، وهذه خاصية لا تعطى لأي أحد، لكن إذا سرت مجتهدًا أيها المؤمن، باذلًا جهدك مفكر، دائما تفكر، مشغول بلقاء رب العالمين، مشغول بمعرفته، مشغول برضاه، مشغول تفكر في عظيم أفعاله وأقداره، تفكر في حكمته وعظمته وقدرته وعلمه المحيط بكل شيء جملة وتفصيلا، تفكر في هذا؛ رويدا، رويدا ينطرد الانشغال بالدنيا وإرادتها وتصبح الدنيا للآخرة.

في مقابل الأمر عكس ذلك عند من يضعف إيمانه، فمن يضعف إيمانه إنما ضعف إيمانه بسبب ضعف قلبه وضعف عمله الصالح وانشغاله بغير ربه، فالمعاصي تعمي القلب والانشغال بالدنيا تعمي

البصيرة، إذا لم تعمه تضعه. لا يشغله ما هو الهدى فيفوته معرفة الهدى ولا تصبح عنده قوة على تنفيذ هذا الهدى لا في نفسه ولا في غيره، كلما ضعف الإيمان، وضعف الإيمان هو ضعف تذكر الدار الآخرة، ضعف تذكر لقاء الله، ضعف تذكر طلب رضا الله، إلى أن نصل إلى ضعف تذكر طلب الهداية، فيصبح عند الإنسان ضعف في البصيرة والقوة فمن ثم لا يفرق بين الحق والباطل.

لذا يجب أن نفكر أن الكمال البشري مداره على أمرين:

الأمر الأول معرفة الحق من الباطل.

والأمر الثاني إيثار الحق على الباطل.

فتصور كيف كلمة الإيمان كلمة شديدة؛ {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا} هؤلاء قوم عرفوا الله وعرفوا عظمة الله، انشغلوا بالله، وطلبوا رضاه، ودائمي الحرص على الهداية، الهداية تشغلهم، لأن الدنيا مليئة بطرق الضلال، فيهتدي العبد وسط هذه الطرق المتعددة، ويسير في الطريق ويضع قدمه في المكان الصحيح، هذا أمر عظيم! ولا يتصور هذا الأمر إلا من سار في الطرق الحسية، وعرف ثمن أن يخطئ في هذه الطرق الحسية، وعرف كم يدفع الناس من أعمارهم، وأعمار من معهم لما يخطؤوا في الطرق الحسية. واليوم مع وجود كل الوسائل التي يتصور الناس أنهم بها يبعدون عن التيه والضياع، كل يوم نسمع عن قصة يموت فيها الناس من خروجهم

في البرية، أو في انحراف سياراتهم عن الطريق، أو أي من هذه الأخطاء، يخطئ الطريق فيخسر عمره، ومهما كان الموت قريب من أحد منا، والموت هو النتيجة النهائية للحياة. لكن المشكلة فيمن يخسر هذه البشرى، ويتوه في الحياة.

أبشروا وأملوا ما يسركم أيها المؤمنون، اطلبوا لنفسكم الإيمان، اطلبوا لنفسكم الهداية، أكثروا من طلب البصيرة، أكثروا من لا حول ولا قوة إلا بالله، من أجل أن تصبح هناك قوة على تنفيذ الحق، نعوذ بالله من أن نصاب بقذى العيون، وحمى الأرواح، وسقم القلوب، هؤلاء القوم الذين لا بصيرة لهم، ولا يطلبون الحق، وحتى إذا عُلِّموا الحق لا يقوونه، هم الذين يضيقون الديار ويغلون الأسعار، ولا يستفاد من صحبتهم إلا العار والشنار، نعوذ بالله من هذه الأحوال.

نعود مرة أخرى فنسمع بشارة الله عز وجل للذين آمنوا، كما في سورة البقرة: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} بماذا بشر هؤلاء؟ بشروا بأن لهم جنات، وما أطيب هذه الجنات، وما أطيب هذه البساتين التي تجمع الأشجار العظيمة، والمناظر الأنيقة، والظلال المديدة، يصبح الإنسان في داخل هذه الجنات العظيمة مستور سترا تاما، ينعم فيها بكل ما يدخل عليه السرور، يا لعظمة هذه الجنات التي وصف رب العالمين! فيها بساتين من النخل والشجر المتكاثف المظلل، الملتفة أغصانه، وهذه الجنات هي دار

الثواب، دار الثواب سمي بأنه جنات لكن فيه غرفات وفيه قصور، لكن الجنات التي فيه هي من أكثر الأشياء التي تبهج النفوس.

والناس المقصود بهم هنا {الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} الذين هم أهل لدخول هذه الجنات، الذين هم مبشرين، يتفاوتون في المراتب على حسب تفاوت أعمالهم فتكون جنانهم أيضا مختلفة متفاوتة، لكنها مشتركة في كونها دار الثواب، دار النعيم، دار السعادة، لكنها لا هموم ولا غموم، لا خوف ولا حزن، هذه الجنات تجري من تحتها الأنهار، هذه الأشجار جريان الأنهار من تحتها ظاهر، واضح للعيان، فيحصل النعيم بجريان الأنهار، جريان الأنهار بنفسه نعيم، وهي في نفس الوقت تسقي هذه الأشجار. وهذه الأنهار الجارية ستزيد هذه البساتين العامرة جمالا، ونسأل الله أن يجعلنا وأحبابنا جميعا من أهلها، سيجد أهلها من النعمة العظمى واللذة الكبرى فيها. واليوم لما يمدحوا البساتين يقولون لفلان بستان فيه الماء الجاري، هذه مدحة عظيمة. وإن شاء الله إذا وفقنا ومررنا على آيات سورة محمد سيأتينا أن فيها {أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ}، هذا الماء الذي هو أصل الحياة البشرية، من عظيم ما ينعم الله على أهل الجنات ويكون لهم من مصادر السعادة والبهجة.

فلتبشروا يا أهل الإيمان بما عند الرحمن، أبشروا وأملوا ما يسركم ولا تخشوا الفقر في دنياكم. اجتهدوا وستجدون عند ربكم أعظم ما يجد العبد من سعادة، بل تجدون عند ربكم ما لا عين رأت ولا أذن

سمعت ولا خطر على قلب بشر، كما قال لنا رب العالمين: {كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا} كلما أطعموا من تلك الجنات {مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ} مثل الذي رزقناه من قبل.

المعنى أنهم عند كل ثمرة تأتيهم يحصل لهم استغراب، ويحصل لهم تعجب، كيف يستحكم الشبه، ثم في المقابل تكون الطعوم مختلفة! هذا مما يزيد بهجتهم، هذا الشيء أجلب للسرور وأزيد في التعجب وأظهر للميزة وأبين للفضل أن تكون في ظاهرها تشبه بعض، سبحان الله! لكن لما يأتون في الطعوم طعم لم يمر عليهم سابقا، فتصور أنهم يرددوا هذا القول وينطقوه عند كل ثمرة يرزقونها. فهم وصل عندهم التشابه نهايته، وأنهم مليئين بالعجب وأنهم غاية في الاستغراب وهذا كله يأتي لهم بالابتهاج، سبحان الله.

{وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ} فهذا إشارة إلى أن تلك الجنة العظيمة ستكون طاهرة ما فيها أقذار ولا أدناس، لا فيها دنس في الطباع وسوء الأخلاق، ولا فيها دنس في القاذورات ولا فيما يخرجه الإنسان من بدنه، كل هذا سيذهب. كل نفس كانت تشتكي من نفسها أو تشتكي من عشيرها في الطباع سيذهبه الله.

أبشروا وأملوا ما يسركم، سنجد عند رب العالمين الخير العظيم وقد أغنانا بالإيمان، أغنى قلوبنا بالإيمان وأبعدها عن فقر الدنيا، فلنكن مستيقظين لحملة أهل الدنيا على أهل الدين. إنهم عدونا

اللدود؛ الشيطان الرجيم، شياطين الإنس والجن متكالبين على أهل الإيمان، يهجمون عليهم، يحاولون أن يجعلوا أهل الإيمان في الصورة مؤمنين، ومن داخلهم بالدنيا مشغولين، يحاولوا أن يجعلوا الدنيا أكبر هم أهل الإيمان، يهجمون على أهل الإيمان هجوم يجعل الإيمان بالدنيا مشغولين وعن الآخرة منشغلين، يذكرون الله بألسنتهم وقلوبهم تهوى الدنيا وتريدها وترغب فيها وتعمل لأجلها وهم يظنون أنهم يعملون أعمالا صالحة، نعوذ بالله من الضلال. لذلك وجب التنبيه على الاشتغال بطلب الهداية في كل خطوة نخطوها.

اللهم اهدنا وسددنا وإلى مرضاتك خذ بأيدينا يا رب العالمين، وارزقنا من الحول والقوة ما نقوم به على تعديل أنفسنا وإصلاحها، رد عنا كيد الكائدين، جلِّ لنا الحقائق وبينها لنا، اللهم نعوذ بك من وعثاء السفر، إننا في سفر طويل، نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر، وسوء المنقلب يا رب العالمين. أنت الصاحب في السفر يا رب العالمين، ونحن إليك راحلين فسلمنا يا رب العالمين، سلمنا، لا تجعلنا من المغرورين الذين غرتهم الشياطين، فعملوا للدنيا وهم يظنون أنهم يعملون للدين، نعوذ بالله من الضلال، اجعلنا من هؤلاء المبشرين الحقنا بالصالحين واعف عنا يا رب العالمين، اللهم آمين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك واتوب إليك.

اللقاء الثاني يوم الأربعاء 30/ 11

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ونسأله بمنّه وكرمه أن يجعلنا من المستبشرين بما بشرّنا به رب العالمين. وكيف لا نستبشر بما بشرنا به الملك العظيم، مالك الملك، بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير! ما الذي يمنعنا من أن نستبشر بما بشرنا به، بل الواجب علينا أن نحضر أفئدتنا ونشغل مشاعرنا بهذه البشرى، وإذا حصل الاستبشار حقا دل على التصديق اليقيني، الاستبشار بما يبشرنا به رب العالمين في القرآن، وبما يبشرنا به رسولنا الكريم يدل على اليقين بهذه الأخبار، وعلى أن الإنسان قوي في إيمانه قوة يقينية، فلنراجع سويا ما بشرنا به رب العالمين.

ولتكن هذه الساعات التي نقضيها في هذا الموضوع كالتنبيه خصوصا ونحن ندخل على هذا الموسم العظيم، ندخل على أعظم أيام الدنيا! فلنكن مستبشرين، وبربنا واثقين، وعليه متوكلين، فلنكن جميعا مشتغلين بصفات المبشَّرين، فلنكن جميعا مهتمين بهذه الصفات، راغبين أن نكون من أهلها، خائفين أن نكون خادعين لنفسنا، ولنرغّب أنفسنا بما بشرنا به رب العالمين.

وقد وقفنا أمس على البشارة الأولى في ترتيب المصحف، التي أمر الله فيها نبيه، وكل من يصلح له الخطاب، أمره أن يبشر المؤمنين بما لهم عند رب العالمين؛ أن يبشرهم بجنات غاية في العَجَب! ومن أعجب ما يجدون أنهم يؤتى إليهم بالمتشابه من الثمار فيظنونها قد مرت عليهم، ويتناولونها وهم في أذهانهم طعم هذه الثمار التي مضى وأن ذاقوه، فيتعجبون غاية العجب لما يجدون أن الشكل وإن تشابه بين الثمرات، لكن الفرق في الطعوم وزيادة حلاوتها ومناسبتها فرقا عظيما أحدث لهم دهشة!

إنهم {كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ} ظانين أن هذا هو الذي رُزقوه من قبل، وهذا كان نوع من النعيم، ألا تكون الثمرة الثانية إلا أشد طعما من الأولى في لذتها وموافقتها للنفس، وهكذا نعيم الآخرة دائما في ازدياد، وإن رأوا متشابهات لكن اللذات تزداد، وتزداد قدرتهم على الشعور بهذه اللذات! فيا لها من بشرى عظيمة.

{وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ} إنها ملكهم فلا تتنافسوا على ما في الأرض، مالك الملك يأمر رسوله، وكل من يصلح له الخطاب، أن يبشر أهل الإيمان بأنهم سيملكون جنات، وليست جنة واحدة، وليسوا هم فيها ضيوف، بل هم مُلّاك. كن متأكدا أن لهم جنات، تأكد أنك أيها المؤمن، الذي عملت الصالحات،

لك عند رب العالمين جنات تملكها، وهذه الجنات لا تكن في قلق عليها أبدا، لأنها تجري من تحتها الأنهار.

فهذه الجنات كاملة، مكملة، فيها من الزروع الناضجة، وفيها من الأنهار الجارية ما عهد الناس أن تكون مثل هذه الجنات دائمة الخضرة، دائمة الثمرة، يقلّ في الدنيا أن تموت هذه الجنات، وأن تذبل وتذهب ما دامت الأرض خصبة والزروع موجودة والأنهار والمياه الجارية والجنات في سلامة، فلما تكون ملك الإنسان تكون أبهج ما يكون له، لكن هذه الجنات التي تكون عند رب العالمين في دار الثواب لا تموت ولا تفنى، كما أن أصحابها لا يموتون ولا يفنون.

وربما يظن الظان أن الملل يمكن أن يدخل على نفوس هؤلاء، ويقع في نفس أهل الجنة شيء من التعود على لذاتها، فيقول رب العالمين، العالم بهذه النفوس {كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا} الله الذي يرزقهم فهم لا يزرعون ولا يحصدون إنما هم يرزقون، كما هم في الدنيا يرزقون، لكن في الدنيا اختبأت الأرزاق وراء الأسباب، وفي الآخرة سيكون الأمر واضح؛ أن هذه أرزاق تأتيهم.

هل يدخل لهم الملل؟ لا والله! بل الشيء الذي يرونه متشابها، سيكون عندهم حالة من التعجب العظيم، عجب لا ينقطع، كيف يشبه بعضه في الشكل لكن الطعوم مختلفة، وهل مثل هذا حال يملّ فيها

أصحابها؟ لا والله! بل إنهم كل يوم يزدادون من النعيم فكيف يُترَك هذا النعيم العظيم ويُترَك العمل له، لدار أوصافها معروفة، كما قال سفيان الثوري رحمه الله: "إنَّ هذه الدنيا دارُ التِوَاءٍ لا دَارُ اسْتِوَاءٍ، ومَنْزِلُ تَرَحٍ لا مَنْزِلُ فَرَحٍ، فَمَنْ عَرَفَهَا لمْ يَفْرَحْ لِرَجَاءٍ ولَمْ يَحْزَنْ لِشَقَاءٍ، فقد جعلها الله دَارَ بَلْوَى وجعل الآخِرَةَ دَارَ عُقْبَى، فَجَعَلَ بلاء الدنيا لِعطاءِ الآخِرَةِ سَبَبًا وعطاء الآخِرَةِ من بلاء الدنيا عِوَضًا، فَيَأْخُذُ لِيُعْطِيَ ويَبْتَلِي لِيَجْزِيَ".

في سورة البقرة في الموطن الثاني في التبشير سيتبين لنا هذا المعنى.

لذلك سيبشر الصابرين، هذه طبيعة الدنيا؛ إنها دار التواء لا دار استواء، لا تستوي أبدا، محال أن تستقيم لنا كل الأمور، والدنيا رُكِّبت على النقص رحمة بنا، ولو جاءت كل الأمور على ما نريد لملْنا إلى الدنيا، وحرمنا أنفسنا من الآخرة العظيمة!

لذا يأتي الموطن الثاني في تبشير أهل الإيمان، ويقول لنا الرحمن سبحانه وتعالى مبشرا خاصة من المؤمنين:

{وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ}

هؤلاء لهم صفة معينة تناسب طبيعة الدنيا، رب العالمين خصهم بهذه البشارة، وقد أخبر سبحانه وتعالى عن طبيعة الدنيا أنها دار بلاء، وأنه لا بد أن نبتلى بشيء من الخوف والجوع، لا بد أن نبتلى

بشيء من نقص من الأموال، لا بد أن نبتلى بشيء من نقص الأنفس والثمرات، لكن إذا كانت هذه طبيعة الدنيا فإن الله هوّنها علينا وبشرنا فيها: {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} فليستبشر الصابرين الذين نزل عليهم حُكْم رب العالمين القَدَري، أصابتهم شدة ولحقتهم بلية، فما كان منهم إلا أن أظهروا الصبر المليء بالإيمان، الصبر المليء بالثقة بالرحمن، الصبر الذي كله أمل في رب العالمين.

لذلك قالوا: {إِنَّا لِلَّهِ} نحن مُلْك وخَلْق لله، فلا ينبغي أن نخاف غير الله، ولا أن نخاف على نفسنا مع الله، {إِنَّا لِلَّهِ} مُلكًا وخَلْقًا، الله الغالب على أمره، لا نبالي بالجوع لأن رِزْقَنا عليه، فإن مُنعنا وقتًا، لا بد أن يعود هذا الرزق، وأموالنا وأنفسنا وثمراتنا مُلْك له، فيتصرف فيها كما شاء، وهو الحكيم العليم سبحانه وتعالى، فهل أهل الإيمان إلا معترفين بفضل الرحمن، مقرين بأنه الرب الكريم، مقرين بأنه سبحانه وتعالى ما تركهم أبدا، بل حتى في مصابهم كان معهم فهم يقولون: -وهم صادقون في هذا- {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} انظر لهذه الكلمات وحللها وأنت تفكر في عظمة رب العالمين.

انظر لهذه الكلمات وافهم ماذا يعني أن نقول: {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} كلمة عظيمة أصحابها معترفين بعظمة رب العالمين، ومعترفين أيضا بأنهم إليه راجعون، فهؤلاء هم المبشرين، هم أهل البشارة، فبماذا يبشَّرون؟

عرفنا أنهم مؤمنين برب العالمين، والمسألة تحتاج إلى كثير من التأمل، كيف يعترفون أنهم ملك لله، يتصرف الله فيهم كيف يشاء، ويعترفون أنهم إلى الله راجعون في الدار الآخرة، لما يعترفون أنهم إلى الله راجعون يكون ضمن هذا شعورهم أن كل شيء فاتهم سيحصِّلونه، لأن الله لا يضيع أجر المحسنين. بهذه الكلمات يهون المصاب، إذا تسلّى الإنسان بقوله هذا وهو يفهم هذا القول ويتأمّل فيه ويتصور ما خُلِق له وأنه إلى ربه راجع، ويتذكر نعم الله عليه، ويرى أن ما أبقى الله عليه أضعاف ما استردّه منه.

نحتاج أن تكون هذه الكلمة مليئة بالمعاني، ليس لفظا فقط والنفس -والعياذ بالله- فيها جزع وتسخط! لذلك أمر الله تعالى ببشارة من اكتسب العلوم الحقيقية وتصورها، وعلم أنه حقًّا لله، وأنه مُلْك له. هذه هي العلوم الحقيقية التي يجب أن يتعلمها الإنسان عن هذه الدنيا، وفي هذه الدنيا يتعلم أنه لله وأنه راجع لله، ولذا بهذه الصفة يكون من الصابرين.

فالله أمر ببشارة من اكتسب العلوم الحقيقية وتصورها، ووطَّن نفسه عليها، ولذلك لا يكون هناك صبر في الحقيقة إلا إذا كان هناك علم بهذه البشارة. الصبر في الحقيقة يكون لمن عرف فضيلة ما يطلب.

نتعرف على تبشير رب العالمين لنا، لما الله عز وجل جعل هذه الدنيا التواء ولم يجعلها استواء-كما ذكر سفيان رحمه الله- وجعلها منزل ترح لا منزل فرح، فالأفراح لا تستمر، ما دامت الأفراح لا تستمر إذن لابد أن يكون هناك أتراح، جعل الدنيا دار بلوى وجعل الآخرة دار عقبى، جعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سببا، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضا، فلما تعرف أن الآخرة جعلت لها الدنيا سببا، وأن بلايا الدنيا لها عوض في الآخرة فيحصل الصبر بذلك أيسر ما يكون.

هؤلاء هم المبشرين وهذه صفتهم، بماذا يبشرون؟ يبشرون بشيء عظيم، إنهم يبشرون بصلوات من ربهم، نحن نعرف الصلاة منا هي الدعاء، ونعرف الصلاة الشرعية، نسأل الله الخشوع فيها خصوصا في هذه الأيام المقبلة المباركة، لكن ما معنى الصلاة من الله؟

معنى عظيم لو تصوره الإنسان تصورا حقيقيا، ما ينام في ليله ولا ينشغل في نهاره عن ربه! الله رب السماوات والأرض يصلي على العبد فيثني عليه في الملأ الأعلى ويذكر اسم عبده الفقير الضعيف، يذكر اسم عبده الذي مدّه سبحانه وتعالى بالحول والقوة ليصبر، يذكره في السماء ويثني عليه عند أهل السماء، وينزل عليه البركات، وتكون له المغفرة ومحو السيئات ورفع الدرجات، هذه صلاة الله على عبده، وهي ليست صلاة واحدة، إنما هي صلوات؛

ثناء ومدح وتعظيم لهذا العبد، يا لعظم هذه البشارة! صلوات في السماء وتوفيق وإرشاد في الدنيا، فيصلي الله عليه، فيهتدي العبد، فيسير العبد في طريقه وهو أحسن ما يكون.

نقص الأموال والأنفس والثمرات في الدنيا، هذه حالها وطبعها، لكن من آمن، صبر، من صدّق بوعد الله وعرف كمال الله وعرف طبيعة الدنيا، وأنها لا بد أن تكون ناقصة، وأنها دار التواء وليست دار استواء، من عرف هذا امتلأ قلبه بالرغبة فيما عند الله، وهذه هي حقيقة الإيمان.

لا تكن مؤمنا بالله ظاهرا وقلبك مشتعل رغبة في الدنيا، لا يكن إيمانك رأسمالي ما همك إلا ما تحصّله في الدنيا! بل قُل: {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} وأنت مؤمن أنك ملك لله يدبّرك كيف يشاء، ويرزقك كيف يشاء سبحانه وتعالى، وله الحكمة البالغة، وأنت مؤمن أنك إليه راجع، يا لها من جملة عظيمة! تستعد للرجوع إليه، وتقطع في يومك وليلتك المسافة بينك وبين الرجوع إلى الله، وأنت مليء بالأمل أنك لما تلقاه سيعوضك كل ما نقص عليك في الدنيا.

{أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ} ثناء ومدح وتعظيم في الملأ الأعلى، وفي الدنيا يُلقى لك التوفيق والرشاد، وفي الآخرة سيكون ثوابا ومغفرة، ما أعظم هذه البشرى لأهل الإيمان، ما أعظمها لأهل الصبر.

ويبشَّر أهل الصبر بالرحمة {عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ} من ربهم الذي رباهم وأعطاهم وأكمل لهم هذا العطاء بهذه الصلوات، وزادهم بهذه الرحمة العظيمة، رحمة تنزل على قلوبهم، رحمة تعمهم وتشملهم ويذوقون آثارها بانشراح يجدونه في نفوسهم، إنها رحمة لا توصف، وعطية لا تقدر بثمن.

كيف يعيش الإنسان بدون رحمة الله؟ كل الخلق يحتاجون إلى رحمة الله، لكن هذا الإنسان الذي صبر على البلاء وكانت له صلوات من الله، جاءته الرحمة، نزول الرحمة على أهل الإيمان لها طعم خاص، وهذه الرحمة تزيد من صبرهم وتزيد من احتسابهم وتجعلهم يتذكرون لقاء الله دوما، وتجعلهم يحتسبون على الله، يقولون في أنفسهم احسبها لنا يا رب لما نلقاك، اجعلها سبب للجنات، اجعلها سبب لتفريج كربات يوم القيامة العظيمة، أذقنا من رحماتك في ذاك اليوم العظيم.

ولذا لما الإنسان يشعر برحمة الله، تنزل على قلبه فيذوق بردا ما عرفه ولا تصوره من نفسه! يزداد إيمانا بالله، ويزداد هداية إلى طريق الحق.

لذا قال الله {وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} هم الذين عرفوا الحق، عرفوا أنهم لله وعرفوا أنهم إليه راجعون، عرفوا أنهم لا يخرجون عن أمر الله، عرفوا أنهم لا مهرب لهم ولا منجى من الله إلا إليه، عرفوا هذا

واستعملوا الصبر الذي يكون من العلم، استعملوه وانتفعوا به، فلذلك هم المهتدون.

(أولئك) اسم إشارة يدل على علو مرتبتهم، وهم ضمير منفصل يدل على تخصيصهم بالهداية، (المهتدون) ألف لام لاستغراق الهداية، فهم الذين اهتدوا للوفاء بحق ربوبية الله وألوهيته، فالله أمام وفائهم يبشرهم بأنه يعطيهم وينزل عليهم صلواته ورحمته.

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدا لكن **البشارة** هي أنك أيها المصاب إذا صبرت **اهتديت**، وحصل لك من بعد المصاب من تزكية نفسك ما الله به عليم.

إن المصائب من أسباب الاهتداء، إن المصائب يبشَّر أصحابها أنهم سيكونون في حال اهتداء من بعد هذا المصاب لذلك قال الله عز وجل: {وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} هذه الهدايات لا تحصل لكل من نزل عليهم المصاب، إنما تحصل على حسب صبر الإنسان، فللمصائب والبلايا والمحن فوائد تختلف باختلاف رُتَب الإنسان في الصبر، فهذا مما نبشر به.

{وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} يبشّرون بأن لهم صيت حسن في السماء، يثنى عليهم في السماء، ويذكروا بأسمائهم، فتشهد الملائكة على حالهم وتحبهم لأن الله يحبهم، ولا يثنى على أحد إلا والله يحبه ويحب

عمله، ثم إن هذا الأمر يتبعه صلوات من ربهم، ربهم الذي رباهم وأنعم عليهم، سينزل عليهم رحمات.

حصول هذا الصبر يستحق أصحابه من رب العالمين -وهو المتفضل عليهم بذلك- أن يجعله طريق للهداية، فإلى ماذا يهتدون؟ وقد تبين لنا أن الناس يختلفون في رتب اهتدائهم.

فأول أمر يهتدي إليه الإنسان

أن يعرف عز ربوبية الله وقهره وسلطانه

وهذا من الأمور التي كثيرا ما نغفل عنها خصوصا لما رب العالمين يعطينا ويعطينا، فيظن الإنسان أنه مدبر لنفسه، وأن الأمر له، وأنه سيجد ما يريد دائما، لكن ما أعظم أن يعرفنا الله عز الربوبية وقهرها، فهذا مما يبشر به الصابرين؛ يبشرون بأنهم سيهتدون فيزيدون معرفة لعز رب العالمين ويزدادون معرفة لذل العبودية وكسرها، لذلك {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}.

لا بد أن نتأمل في هذه الكلمة العظيمة، نعترف بأننا ملكه وعبيده، وأننا راجعون إلى حكمة وتدبيره وقضائه وتقديره، لا مفر لنا منه، ولا محيد لنا عنه سبحانه وتعالى، فنهتدي إلى هذه المعاني العظيمة. ينزل المصاب تصبر فتهتدي، ابشر أنك ستهتدي إلى عز الربوبية وقهرها، وإلى ذل العبودية وكسرها وهذا يرفعك في مقام العبودية:

ومـــمـــا زادنـــي شـــرفـــًا وفـــــخـــــرًا
وكدتُ بأخمصي أَطأُ الثريَّا

دخولي تحت قولك: (يا عبادي) وأن صـــــيَّرت
أحـمـــد لي نبـــيًّا

ما أعظم منزلة العبودية! ثم أن العبد الصابر الذي بُشِّر بأنه من المهتدين، سيهتدي إلى الإخلاص لله لأنه لا مرجع في رفع الشدائد إلا إليه، ولا معتمد في كشفها إلا عليه، {وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ} فبهذا يخلص القلب تماما من غير الله.

فأبشروا أيها الصابرون أنكم ستهتدون إلى الإخلاص الذي يعجز الإنسان عن شرحه، لكن ستهتدون أيها الصابرون كيف تكون قلوبكم لله وحده، وأنه لا يكشف الضر إلا هو، ثم ستهتدون بإذن الله وأبشروا بهذا؛ أن النفس التي كانت شاردة ستنيب إلى الله وتقبل عليه.

{وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} بشرهم بذكْر في السماء ورحمات تنزل عليهم في الأرض، يذوقونها في الدنيا والآخرة، وبشرهم بالهداية التي نسأل الله دائما إياها وهي قضيتنا العظيمة، أبشروا يا أهل الصبر بالهداية، النفس الشاردة ستهتدي إلى الإنابة إلى الله تعالى والإقبال عليه، ستهتدي إلى الإنابة، ستهتدي إلى التضرع والدعاء، ستهتدي بإذن الله إلى طريق محبة الله.

بل هذه الهداية سيأتي منها شيء عجيب، والذي ذاقه هو وحده الذي يفهم هذا الأمر

يهتدي الإنسان إلى شيء ربما يكون غريب وهو

فرحه بهذا المصاب لأجل هذه الفوائد

وهذا كمن يفرح من عظمت أمراضه بشرب الدواء الحاسم مع مرارته الشديدة، لكنه يحبه ويقبله لأن المرض عظيم، والدواء -وإن كان مُرًّا- لكن الأمل في الشفاء به يجعل المرارة تذهب.

فيفكر الإنسان كيف هذه الأمور تتحص له بهذا المصاب، كيف ستمحص ذنوبه وخطاياه، كيف يُرفع في السماء. ثم يفكر الإنسان، وهو في هذه الحال،

إلى أن يهتدي إلى مقدار نعمة العافية

إلى أن يهتدي إلى الشكر، لأن النعم لا تعرف أقدراها إلا بعد فقدها.

ثم يهتدي الإنسان أيضا -وهذا من أعظم ما يهتدي إليه الإنسان ويذوقه لما يصبر-

يهتدي إلى ما في طيات هذه المحنة من منح وعطايا وفوائد خفية

ولما نفكر مثلا في موقف إبراهيم عليه السلام لما أخذ الجبار سارة من إبراهيم عليه السلام، كان في طيّ تلك البلية أن وهبه هاجر، فولدت إسماعيل لإبراهيم عليهما السلام، فكان من ذرية إسماعيل خاتم النبيين، وإن كان في ظاهر المسألة شر لكن ما أعظمه من خير، وكما قيل:

كَمْ نِعْمَةٍ مَطْوِيَّةٍ لَكَ بَيْنَ أَثْناءِ المَصائِبِ

رُبَّ مَـــبْــغُـــــــوضٍ كَرِيهٍ فِيهِ لِلَّهِ لَطَـــائِفُ

نبشر الصابرين بأنهم دخلوا باب الهداية الواسع، ومن أعظم ما اهتدوا إليه أن يكونوا متواضعين لأن المصائب تمنع من الأشر والبطر والفخر والخيلاء والتكبر والتجبر.

تصور لو كان النمرود مصاب بالفقر أو المرض أو فقد أحد حواسه، أو أي شيء من بلايا الدنيا هذه، ما آتاه الله الملك إنما وقعت عليه البلايا، هل كان سيحاج إبراهيم عليه السلام في ربه؟ لكن ما الذي جعله يحاج إبراهيم عليه السلام في ربه؟ بطر الملك هو الذي جعله يحاج إبراهيم عليه السلام في ربه، ولو ابتلي فرعون بالمصاب لما قال أنا ربكم الأعلى، لكن {كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (6) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ}، فهذا كله من هداية الله للعباد.

كأن هذه الأيام العثِرة والصبر فيها مدرسة تخرِّج الإنسان مهتد للطريق، تحسنت نظرته للحياة، رأى الأمور كما ينبغي، ودائما

نفكر في رسولنا ﷺ، وما وقع عليه من ابتلاء، وكيف هذه البلايا زادته رفعة عند الله.

لو فكرنا في هذه البشرى، أن الله يبشر الصابرين بأنهم مهتدين، وهذه البشرى تتضمن ما ذكرنا من أمور؛ اهتدوا إلى عز الربوبية وذل العبودية، إلى أن عرفنا أن هذه المصائب تجعل الإنسان

يهتدي إلى التواضع ويترك الطغيان

بل هذه المصائب تدفع الإنسان إلى الرضا الذي من ورائه رضوان الله تعالى. ونحن نعلم أن المصائب تنزل بالبر والفاجر والمؤمن والكافر، لكن المهتدي هو الذي يرضى فيأتيه أعظم أمر.

الصابر يهتدي إلى أن يرضى

فيكون رضاه هذا جلب عليه أعظم مصلحة في حياته، وفي أعماله، وهو رضوان من الله أكبر، أكبر من جنات عدن، ومن المساكن الطيبة، وأكبر من كل هذه العطايا. فما أعظم هذا الأمر الذي بُشِّرنا به.

إذا صبرت أبشر؛ إنك من المهتدين إلى رضا رب العالمين، إلى رضوان الله الذي هو أكبر من كل شيء.

فنرجو من الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة وأن يوفقنا لما يحب ويرضى وأن يعافينا من المحن والرزايا وأن ينزل علينا

صبرا على طاعته، وعلى عبادته، وأن يجعلنا وقت المصاب من الصابرين حقا الذين يبشرون بهذه البشارات، يثنى عليهم في السماء وتنزل عليهم الرحمات ويكونون من أهل الهداية، أمر عظيم {يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ}!

هذه وقفتنا مع هذه الآية المباركة وبإذن الله غدا أيضا نقف مع آية من آيات البشارة، نسأل الله عز وجل أن نكون من المستبشرين بما بشرنا به رب العالمين.

اللقاء الثالث يوم الخميس 1/ 12

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله، توكلنا على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

فليستبشر أهل الإيمان بقدوم هذه العشر العظيمة عند الرحمن، أيام عظيمة أجورها كريمة، من آثار كرمه سبحانه وتعالى، وهو الجواد الكريم، وهو الغفور الشكور، وهو المنان الذي يبتدئ الخلق بالعطاء قبل السؤال. فلنبشر جميعا بهذه الأيام المباركات، ولتكن قلوبنا مملوءة بالشعور بنعمة الله علينا؛ أن مدّ لنا في الحياة وبلغنا أعظم أيام الدنيا. وليكن هذا البشر والاستبشار حاملا لنا على اغتنام هذه الأيام بالأعمال الصالحات، وشغل القلب بأعظم أمر، شغل القلب بلقاء الله. ولنجعل هذه الأيام فرصة لنا للتفكير، ماذا سيكون لما نقف بين يدي رب العالمين، بماذا سنعتذر؟ وماذا سنقدم من أعمال؟

ولذلك النصيحة للجميع: أن المخرج من كل ضيق، ومن كل أمر عظيم، نخشاه ونخافه عند لقاء رب العالمين، بالتوبة. فلنجعل هذه الأيام أيام التوبة المليئة بالرجاء في رب العالمين، لأن التوبة من

أعظم الأعمال التي من الواجب على المؤمن أن يستبشر بها إذا وُفِّق إليها، لأن في الحديث الصحيح أن الله يفرح بتوبة العبد، فأبشروا وأملوا ما يسركم فربكم الكريم يفرح بتوبتكم، فلتكن هذه الأيام أيام صفاء للذهن، وتفتيش عما يجب أن نتوب عنه خاصة وأيضا توبة عامة عن كل تقصير وقلة شكر، ولتكن توبتنا توبة المستبشرين برب العالمين، وليكن منا اليقين أن رب العالمين لا يردّ الصادقين، لا يردّ الراغبين في مرضاته، وأن رب العالمين يريد من الخلق أن يكونوا من ربهم قريبي، وأن يكونوا له ذاكرين لأجل انفسهم، فالله غني ومع غناه هو كريم، يفتح لعباده أبواب الخيرات.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر، ولله الحمد.

فليستبشر أهل الإيمان بأن الله أكبر من كل شيء يخافوه ويحذروه، من شر أنفسهم ومن شر غيرهم، الله أكبر، الله أكبر.

ومن هنا نقف عند آيات عجيبة، في سورة يونس وقد تكرر الكلام عن البشرى في سورة يونس من أولها، وردت في أولها وفي وسطها وفي آخرها.

{أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}

ما أعظم هذه البشرى، {لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} لهم البشارة في الدنيا، ولهم البشارة في الآخرة، بماذا يبشرون في الدنيا؟ يبشرون في الدنيا بشيء عظيم، يبشرون في الدنيا بأن الله وليهم.

{أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ}، أولياء الله لهم البشرى، فهم والوا الله والله كان وليهم، أولياء الرحمن الله وليهم، فتصور كيف لهم البشرى في الدنيا.

كما في الحديث الذي رواه البخاري وغيره، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "يقولُ اللهُ تعالى: من عادى لي وليًا فقد بارزني بالمحاربةِ" [أخرجه البخاري] وهذا معناه أن الذي يعادي أولياء الله قد بارزوا الله بالمحاربة، فماذا سيكون من الله لهم؟ ابشروا يا أولياء الله، {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} ابشروا.

وفي الحديث الآخر: "وإنِّي لَأَثْأرُ لِأَوْلِيائِي كَما يَثْأرُ اللَّيْثُ الحَرْبُ" [أورده الحافظ ابن كثير في تفسير] آخذ ثأرهم ممن عاداهم، كما يأخذ الليث الحرب ثأره، وهذا لأن أولياء الله هم الذين آمنوا به ووالوه، فاحبوا ما يحب وأبغضوا ما يبغض، ورضوا بما يرضى، وسخطوا بما يسخط، وائتمروا بما أمرهم به، وانتهوا عما نهاهم عنه، وأعطوا لمن يحب أن يعطى ومنعوا من يحب أن يمنع، يعني يمشون على أمر رب العالمين.

فهذه الولاية التي فيها المحبة فليبشر أصحابها في الدنيا بولاية الله، وليبشر أصحابها في الدنيا بأنهم دخلوا مع فريق الأولياء، بشرى عظيمة لما تكون من أولياء الرحمن، من حزب الله، ستكون مع الأنبياء، والمرسلين، وتكون مع الصالحين في كل زمان، تكون من هذه الفرقة، يا لها من بشرى!

لكن هذا الأمر يحتاج منا إلى اغتنام خاصة لهذه الأيام التي نحن فيها لأن الشرط في أولياء الله {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}، فأحد أعظم الأبواب هنا أن نقبل على الله بالتوبة، ونستبشر برحمة الله ونعمل ما نستطيع من أعمال طالبين فيها ولاية الله، ويكون في قلبنا يقين أن الناس إما أولياء لرحمن وإما أولياء للشيطان، فندعو رب العالمين ونكثر من ذكره، لأن دليل الولاية كثرة ذكر الله.

{أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} أولياء الله لهم البشرى في الحياة الدنيا، فليستبشر أولياء الله في الحياة الدنيا بولاية الله، وليستبشروا أيضا بأنهم وإن كانوا في الأرض مغمورين، فهم في السماء مذكورين، كيف لا وأولياءه يذكرونه سبحانه وتعالى، ومَن ذكر الله في نفسه ذكره الله في نفسه العظيمة، ومن ذكر الله في ملأ ذكره الله في ملأ خير منه.

فإن كان الخلق لنقص في نفوسهم يشتهون الشهرة بين الناس، فليكن أولياء الله راغبين في صيتهم في السماء، وهم في الحياة

الدنيا، وهم في الأرض، وهم سائرين بين ملايين الناس، وهم يعيشون مثلهم مثل غيرهم، فيما يظهر للناس، لكن استبشروا يا أهل الإيمان، يا من يغتنم الفرص فيكثر من ذكر الله، استبشروا بصيتكم في السماء، تُذكروا في ملأ خير من أهل الأرض، تذكروا عند الملائكة الكرام، فسبحان الله وبحمده كيف لا نستبشر بهذه البشرى العظيمة! كيف لا يدخل على قلوبنا السرور ونحن نسمع أن الذاكرين يُذكروا، في السماء يذكروا! وأن الشاكرين يشكروا من رب العالمين، وأن المتقين يُرفعوا ويُكرموا في الدنيا وفي الاخرة، كيف لا نستبشر!

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي فتح أبواب الخيرات لأوليائه، فلنكن حريصين على أن نكون أولياء الله المؤمنين المتقين، ونكون مستبشرين، {لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} مستبشرين بهذا الذي يكون في الدنيا ومستبشرين بما سيكون يوم القيامة من رفعة رب العالمين لهم.

نستبشر في الدنيا بالسمعة في السماء، ونستبشر في الدنيا بالثناء الحسن والمودة في قلوب المؤمنين، نستبشر في الدنيا بما نراه من ألطاف الله، نستبشر في الدنيا بما نشعر به من أن الله يسمع دعاءنا، نستبشر في الدنيا حتى بالرؤية الصالحة، ونرى هذا كله من آثار {لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} نستبشر في الدنيا بأمر عجيب ذكره أهل العلم وهو ما يتيسر لنا من حسن الخلق، لما تأتي في موقف

وتتصرف بحلم أو تتصرف بكرم، أو ترزق صبرا، فهذا مما تستبشر به لأنه توفيق من الله. توفيق من الله أن تيسر لأحسن الأخلاق، تستبشر لما تجد أن الله عز وجل قد شرح صدرك لأعمال الخير وفتح لك أبوابها، {لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} تستبشر لما تجد الله صرف عنك مساوئ الأخلاق.

كدت أن تبطش بشخص بعد أن غضبت، كدت أن تقول كلمة سيئة من أن تفاجأت بالموقف، لكن حبستها وتبين لك أن الموقف ما كان يحتمل هذا الأمر، ماذا ستقول؟ الحمد لله أني حبستها لكن أستبشر أيضا أن الله أعانك على حبسها، كشف لك نفسك وبين لك أنه منّ عليك بحبسها، كل هذه بشرى في الحياة الدنيا وغير ذلك كثير.

فليستبشر أولياء الله {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} وكلما قوي الإيمان والتقوى كلما ارتفعت درجة الولاية وارتفعت درجة البشرى.

تجد أولياء الله يتحملون أمور تجد أنك لو كنت مكانهم لا تستطيع تحملها، والسبب أن معهم من ألطاف الله ما يلطف عليهم الأقدار وييسرها عليهم، وهذا من البشرى لهم في الحياة الدنيا، وفي الآخرة شأن عظيم، من أول البشرى التي يستبشر بها أولياء الله الذين وصفهم أنهم {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}، لأن كلمة أولياء الله قد اختلطت في العالم الإسلامي بمفاهيم كثيرة باطلة، وأصبحت الولاية أمر متصل بالبدعة لكن رب العالمين بين لنا الولاية، إنهم {الَّذِينَ

آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}، هؤلاء الأولياء مستبشرين في حياتهم وبعد مماتهم، أول البشرى عند مماتهم عند قبض أرواحهم.

الموت الذي يخاف منه الناس، هذه اللحظة تكون عند أولياء الله من أسعد أوقات حياتهم، يودعون الدنيا ويقبلون على الآخرة وهم في غاية السعادة لأن الملائكة تبشرهم عند قبض أرواحهم، نسأل الله من فضله، {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ} تتنزل نزولا حقيقيا في وقت الموت، وتخبرهم بهذا الخبر، {تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ} استبشروا يا أهل الإيمان، الموت الذي يخاف منه أهل الإيمان سيكون لأهل الإيمان، لأولياء الله لحظة سعادة تبشرهم الملائكة، فأي آلام تحيط بهذا الموقف تكون لا قيمة لها، منسية، لأن البشارة تدخل إلى أعماق النفس، فتهون كل ألم متصل بالجسد، لأن الروح ها هي تغادر الجسد الذي عمرته بأعمال الإيمان، فلحظة المغادرة تكون لحظة البشرى من الملائكة. ثم إذا ترك الإنسان في قبره يبشر برضا الله تعالى والنعيم المقيم، ويا لها من بشرى، يؤنّس العبد في قبره أنسا عظيما لما يكون من أولياء الله الصالحين، فلنغتنم هذه الأيام لتلك اللحظات التي سننفرد فيها في قبورنا، ثم في الآخرة تمام البشرى بدخول جنات النعيم والنجاة من العذاب الأليم. {لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} يا لها من بشرى عظيمة، يا لها من عطية تشتاق إليها النفوس.

فلنعلم أن كل هذه الآلام والأحزان التي تمر بنا ستذهب {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ} لهم البشرى الكاملة، نفى عنهم الخوف والحزن وأثبت لهم البشرى الكاملة في الحياة الدنيا وسيزداد البيان في نفس السورة لما ننتقل إلى الآية التالية، كيف لهم البشرى في الحياة الدنيا.

تبين لنا صور من البشرى في الحياة الدنيا وسيزيد البيان إن شاء الله، وأيضا كما تبين في الآخرة ستكون لهم البشرى وسيكونون هم السعداء، وستتلقاهم الملائكة وتقول لهم {هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ}.

ونلاحظ أن رب العالمين ختم هذه الآية {لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ} لن يتغير هذا، فلتعلموا يا أهل الإيمان أنه لا تبديل بوجه من الوجوه لكلمات الله الملك العظيم الذي أحاط بكل شيء علما وقدرة. الملك العظيم حكم أن لأوليائه البشرى وسيكون كما حكم الملك العظيم، حتى لا تأتي منا كلمة إن شاء الله تعليقا، بل إن شاء الله تحقيقا، لا تقلها وأنت فيك ضعف، بل كن متأكدًا أن لهم البشرى في الحياة وفي الآخرة، لكن بقي أن نطلب لنفسنا هذه الولاية بالإيمان والتقوى، الذي مبدؤه التوبة، الذي طريقه التوبة، الذي تبقى التوبة هي الوظيفة الدائمة في حياة المؤمنين، نعمل أعمال صالحة ونتوب، ونلاحظ أننا بعد كل صلاة نستغفر، التوبة والاستغفار عمل دائم مع

الأعمال لأن حق الله عظيم ونحن غاية في الضعف، نسأل الله أن يغفر لنا.

نأتي للآية التالية التي في سورة يونس أيضا وتكمل لنا المعنى، وهي في موطن خاص، في موطن قصة موسى عليه السلام وفرعون، وموسى عليه السلام يخاطب قومه بما خاطبه به رب العالمين، الآية فيها أمر من رب العالمين لموسى عليه السلام أن يفعل هذا مع قومه، آية 87 في سورة يونس وفيها شيء لطيف.

موسى عليه السلام لا زال يحاور قومه ويأمرهم بما أمره الله به، إلى أن قال لهم: {يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ} فما كان منهم إلا أن قالوا: {عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} هم في مصر ولا زالوا تحت سلطة فرعون وهم في اللحظات الأخيرة التي سيخرجون بعدها من مصر، وهذا هو الحوار بين موسى عليه السلام وقومه، فقال لهم: {إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا} توكلوا واطمئنوا لأن الخوف مما سيحصل خوف ملازم للبشر كلهم، ماذا سيكون غدا خوف ملازم للبشر، خصوصا لما تأتي الظروف والأحوال حول الإنسان تكون مجهولة لا يدري، خصوصا لما يكون ينصر الحق وهناك قوى في الأرض تنصر الباطل يظهر أنها أقوى ممن ينصر الحق، مثلما هو واضح هنا، هذا فرعون ومعه قوة، وهذا موسى عليه السلام ومعه قومه، معركة عظيمة بين الحق والباطل، الخوف يتسرب لأهل الحق من جهة

كون أنهم ضعفاء، فما يدرون أيبطش بهم فرعون ويذهب بهم، أم يكون لهم قوة وينتصر الحق، وينتصر ما جاء به موسى عليه السلام من الحق، لا يدرون. فهذه الحال تسبب شيء من الخوف في النفس، فجاءت هذه الكلمات من موسى عليه السلام لتسكّن خوفهم، فقال لهم: {يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ} صادقين في ذلك {فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا} فلتكن نفوسكم ساكنة، {فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا} التوكل يسكّن النفس {إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ (84) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (85) وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} وصفوا مخاوفهم، خافوا ان يكونوا فتنة للقوم الكافرين الظالمين، يعني يتسلطون عليهم ويعذبونهم ويفتنوهم في دينهم، {وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} من كيدهم، وحتى من شؤم مشاهدتهم ومن العبودية لهم، كما كان حالهم. وهنا نلحظ أنهم أظهروا التوكل وبعد ذلك دعوا، يعني أنهم غاية في الاعتماد على الله.

نأتي إلى الشاهد الذي فيه البشرى:

{وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ}

{وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ} رب العالمين أمرهم بهذا الأمر وحيا {أَن تَبَوَّآ} يعني اتخذا {لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا}، تلزمونها وتجتمعون

فيها، وأتى أمر آخر {وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً} فلتكثروا من الصلاة فيها، قبلة يعني مصلى، واقيموا الصلاة في بيوتكم وهذا مما يؤمل الخائفين، خائفين؛ يتوكلوا ويدعوا ويصلوا، هذا كله واضح، لكن العجيب هنا أن رب العالمين قال {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} وهم في هذه الأزمة وهذه المخاوف يؤمر موسى عليه السلام أمر أن يبشر قومه.

وهذا يشبه النبي ﷺ لما كانوا في غزوة الخندق والأحزاب مجتمعين عليهم، وكان من الخوف من قوة عدوهم ومن برد تلك الليالي، كان أحدهم لا يستطيع أن يبتعد عن قومه ليقضي حاجته لكثرة الخوف! والنبي ﷺ وهم يحفرون، وأتتهم صخرة صعب على الصحابة كسرها فطلبوا من النبي ﷺ أن يكسرها فما كان منه إلا أن تقدم وبدأ في الكسر وهو يبشرهم مع كل مرة يكسر فيها جزء من هذه الصخرة، يبشرهم بفتح أرض الروم وبفتح أرض الفرس وبملكهم، وهم في غاية الخوف، وهو ﷺ في غاية الثقة والاستبشار، والصحابة الكرام المصدقين المؤمنين شاركوه في هذه البشرى فكانوا مستبشرين، ولم يكن أحد من الصحابة إلا وهو مستبشر، عدى أهل النفاق، هم الذين كانوا يرون أن هذا من الخيال، فكان أحدهم يقول -هذا الكلام المتصور- أن الرجل فينا لا يستطيع ان يقضي حاجته وانتم تتكلمون عن أرض الروم وملك كسرى وقيصر؟ لكن هكذا شأن أهل الإيمان مع أهل النفاق، أهل الإيمان يستبشرون حيث بشرهم رب العالمين.

لما سمعنا في الآية السابقة أن أولياء الله لهم البشرى في الحياة الدنيا ومن البشرى في الحياة الدنيا النصرة في الدنيا؛ أن تحصل نصرة للحق، أن ينتصر الحق ويرتفع ويكون هذا الحق ذا شأن عظيم في قلوب المؤمنين.

لكم حُسْن العاقبة أيها المؤمنون، فلتستبشروا أنكم منصورون، وليكن هذا اليقين سبب للثبات على الدين.

{وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} بالنصر والتأييد وإظهار دينهم.

{وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} ولما يشتد الكرب ويضيق الأمر يفرج الله ويوسع، فلا يأس من روح الله، ولا خوف إلا من الفتن على النفس، وليستبشر أهل الإيمان بأن هذا الدين، بإذن الله، وبيقين، أنه باق ومنصور، وأهله منصورين إلى قيام الساعة.

نلحظ هنا موطن عجيب وهم خائفين وأُمروا بأن يصلوا في بيوتهم، أُمر موسى عليه السلام أن يبشرهم، فهذه من اللوازم؛ بشر بني إسرائيل بأن الله سيظهرهم على عدوهم، وبشرهم بأن هذا الدين باقي.

وبعض المفسرين قالوا {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} أن مع النصر الجنة، وأنهم إذا لم يروا النصر بأنفسهم فإن عوض رؤيا النصر في الدنيا أن يكونوا من أهل الجنة ويكون لهم شأنهم عند ربهم، فقد نرى كلنا

النصر، وقد يسبق أحد قبل أن يأتي هذا النصر، لكن الجميع لا بد أن يستبشر. ونحن في الخوف ونحن في الضيق ونحن نرى تسلط العدو نستبشر بما عند رب العالمين.

وبعض المفسرين قال إن هذا الخطاب: {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} إنما هو لنبينا محمد ﷺ، وإن كان الأول أنه لموسى عليه السلام أولى، لكن قالوا إن الخطاب للنبي ﷺ {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} أنه كما حصل لموسى وقومه وخرجوا وانتصروا فسيكون ذلك لك وللمؤمنين معك.

هذه البشرى لا بد أن تكون دائما على بالنا، ويكون من ورائها عناية واهتمام، نستبشر نعم، لكن يجب أن نعمل، فهذه البشرى تنفي اليأس من نفوسنا، تنفي اليأس من أبنائنا، تنفي اليأس من مجتمعنا. نستبشر ونتيقن أن رب العالمين معنا، ولنعلم أنه سبحانه وتعالى جعل لهذه البشرى علامات.

ومن أعظم علامات الاستبشار بنصر الله أن يكون هناك من يعتني بدين الله يتعلمه ويعلمه، أن يكون هناك من يحرص على نشر الحق، " لا تزالَ طائفةٌ من أمَّتي على الحقِّ منصورينَ لا يضرُّهم من خالفَهم حتّى يأتيَ أمرُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ" [سنن ابن ماجه] يا لها من صفة عظيمة علينا أن نعتني ببقائها، فهي علامة خير عظيم، وبها يستبشر المؤمنين لما يجدون من هم حريصون غاية الحرص على العلم

وعلى نشره، حريصون غاية الحرص على أن يقوم كلٌّ بواجبه كما أمر رب العالمين، يدفعون البدعة وينشرون السنة. نشر السنة ودفع البدعة من الشؤون الخطيرة جدا، وهي علامة صحة للمجتمع، وها نحن نرى آثار هذا، الحمد لله، فقبل سنين ليست بالطويلة، قليل من الناس من كان يعرف فضل هذه العشر العظيمة، قليل من الناس الذي كان يهتم بها، الآن الحمد لله من فضل الله انتشر في العالم الإسلامي الكلام عنها وعن فضلها ليس كما ينبغي، لكن لو قارنا بما مضى سنجد أنه في تحسن، وهكذا.

نستبشر أن هذا الدين علينا وعلى أبنائنا، بإذن الله، وعلى الأجيال القادمة سيكون راية مرفوعة، بنا وبمن بعدنا.

ومن علامات هذا الاستبشار ما نجده من الاستفادة من كل الفرص في نشر القرآن وفي نشر السنة وفي محاربة البدعة، في تعليم القرآن وفي تفهيمه، في تعليم العقيدة الصحيحة، كل هذا من فضل الله علينا وعلى أهل الإيمان، هذا يجعلنا غاية في الابتهاج والاستبشار مهما ظهرت مخاوف.

ونذكر أنفسنا أن رب العلامين أمر موسى، عليه السلام، وقومه خائفين، أن يبشرهم، وهم في حالة الخوف يبشرون أن هذا كله سيزول وسيكون قصة في التاريخ، وأن الخير والحق سينتشر بأمر رب العالمين.

ونقف عند موطن آخر يصف حال بشرى لقوم خاصين، يساعدنا هذا الموقف، وهو في سورة الحج في فهم هؤلاء المنصورين، هؤلاء الذين يكونون مبشرين بالنصر، فنسمع رب العلامين يقول:

{فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (34) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}

هذه بشرى لهؤلاء، سبحان الله، بشرى عظيمة، والبشرى هذه كلها آتية في سياق التوحيد، في أول الآية {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ} يذكروا اسم الله وحده لا شريك له {فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ} هذا التوحيد {فَلَهُ أَسْلِمُوا} أيها المؤمنون {وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ} شيء عجيب! الخبر عن أعمال الحج، والخبر عن التوحيد في الحج، ثم يأمر الله عز وجل رسوله أن يبشر المخبتين في وسط هذا الأمر العظيم، لأن الموحدين هؤلاء هم المخبتين، بشرهم بخيري الدنيا والآخرة، المخبتين الخاضعين لربهم المستسلمين لأمره المتواضعين لعباده، بشرهم بأن هذا الذي يفعلوه ويقولوه ويعملوه وراءه خير عظيم.

وصفهم رب العلامين:

{الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} في قلوبهم خوف وتعظيم لرب العالمين،

{وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ} يصبرون ابتغاء وجههم محتسبي الأجر

{وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ} غاية العناية بصلاتهم

{وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} يهتمون بالإنفاق.

هؤلاء يبشرون لأن هؤلاء على يدهم تكون النصرة، هذا القلب المخبت الذي يبشر صاحبه هو الذي ينتفع بالقرآن ويزكو به، فتجد هؤلاء يحملون الحق، ويحرصون عليه، ويتواضعون للخلق، ويصبرون في نشر الحق، حتى أنهم ينفقون أموالهم لأجل نشر الحق، فما أطيب هؤلاء المخبتين، أنابوا لربهم واطمأنوا إليه واستبشروا بما بشرهم به رب العالمين.

لكن السؤال هنا بماذا يبشروا؟ بماذا يبشر هؤلاء المخبتين المتواضعين المتأملين فيما بشرهم رب العالمين؟

يبشرون بالفلاح والصلاح، يبشرون بما رغبوا فيه من امتلاء قلوبهم بمحبة الله ومعرفته، يبشرون بما كان يشغلهم، كان يشغلهم أن تزكو نفوسهم، كان يشغلهم أن يكونوا لأمر ربهم تابعين، فليستبشروا بذلك وليعلموا أن ربهم، وهو العليم بذات الصدور لما رأى منهم إخباتا وتواضعا وانكسارا، وحبا للحق ونصرة له، سيعطيهم منالهم.

{وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ} بشرهم برفعة في الدنيا مقابل تواضعهم، بشرهم بنصرة بالحق مقابل بذلهم، بشرهم بمحبة ربهم مقابل إقبالهم على ربهم وحبهم له. بشرهم بهذا في الدنيا وبشرهم بأعظم من ذلك لما يلقون ربهم، يلقون ربا راضيا غير غضبان، ويكونون غاية في السعادة، ذلك هو الفوز العظيم، هذا هو الفوز العظيم. بشر هؤلاء المخبتين المتواضعين المخلصين بأنهم من الفائزين.

نسأل الله بمنّه وكرمه أن يجعلنا من الفائزين، الذين قَبلوا ما بشرهم به ربهم، وبشرهم به رسوله، فدخل إلى نفوسهم السرور، واطمأنوا أنه مهما ضاقت الأمور فإن ربنا الذي يدبر كل شيء سبحانه وتعالى محيط بكل شيء علما وقدرة، سبحانه وتعالى. ربنا الذي يدبر الأمور ويصلحها، ويصلحنا فلا نيأس من نفسنا، يصلح ذرياتنا فلا نيأس منهم، يصلح مجتمعنا فلا يأس، يصلح العالم الإسلامي هو على كل شيء قدير، اللهم أصلحنا وأصلح بنا واجعلنا من أوليائك الذين لهم البشرى في الحياة الدنيا والآخرة، اجعلنا من المؤمنين المبشرين، من المخبتين المتواضعين المخلصين المبشرين، اللهم اجعلنا موصوفين بكل صفة تستحق البشارة بالخير في الدنيا والآخرة، اللهم آمين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك واتوب إليك.